حوار الحضارات في العلاقات الدولية الدوافع والمعوقات

دراسة حالة للحوار العربي الأوروبي (١٩٧٣-١٩٩٠)

د. أسامة فاروق مخيمر

أستاذ العلوم السياسية المساعد، ورئيس قسم العلوم السياسية

كلية السياسة والاقتصاد - جامعة بنى سويف

osama.farouk@eps.bsu.edu.eg

المجلــة العلميــة لكليــة التجـــارة

كليـــة التجـــارة – جـــامعـــة أسيـــوط

العدد السادس والسبعون – ديسمبر ٢٠٢٢

التوثيق المقترح وفقاً لنظام APA:

مخيمر، أسامة فاروق (٢٠٢٢). حوار الحضارات في العلاقات الدولية الدوافع والمعوقات: دراسة حالة للحوار العربي الأوروبي (١٩٧٣-١٩٩٠). ***المجلة العلمية لكلية التجارة***، كلية التجارة، جامعة أسيوط، العدد ٧٦، ٥٩-٩٥.

رابط المجلة: https://sjcf.journals.ekb.eg/

حوار الحضارات في العلاقات الدولية الدوافع والمعوقات: دراسة حالة للحوار العربي الأوروبي (١٩٧٣-١٩٩٠)

د. أسامة فاروق مخيمر

مستخلص الدراسة:

يعد الحوار العربي– الأوروبي شكلًا مهمًّا من أشكال الحوار الذي دار حول قضايا ذات طبيعة اقتصادية وسياسية بالأساس؛ فقد دفع حظر النفط العربي الجانب الأوربي إلى المبادرة بالحوار مع الجانب العربي الذي رحب بالمبادرة، وطرح القضية الفلسطينية- بوصفها القضية العربية الأولى- على طاولة الحوار، علاوة على قضايا مثل: نقل وتوطين التكنولوجيا، وتعزيز الإفادة من عائدات النفط الموجودة في البنوك الأوروبية، وأوضاع المهاجرين العرب في الدول الأوروبية إلخ، إلا أن الحوار واجهته صعوبات منذ الإعلان عنه؛ فقد رأت الولايات المتحدة أنه يضر بمصالحها في الشرق الأوسط، فسعت إلى إفشاله. وقد تأثر الحوار بالمتغيرات الإقليمية والدولية المختلفة طيلة سنواته (١٩٧٣- ١٩٩٠)، فكان نتاجًا لها، ومتأثرًا بها، وأعطى الكثير من الخبرات والدروس التي يمكن البناء عليها في المستقبل، سواء بين الجانبين العربي والأوروبي، أو في الحوار بين الأطراف بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: الحوار، حوار الحضارات، الجماعة الأوروبية، الولايات المتحدة.

Dialogue of Civilizations in International Relations Motivations and Constraints: A Case Study of the Arab-European Dialogue (1973-1990)

Dr. Osama Farouk Mekheimar

osama.farouk@eps.bsu.edu.eg

Abstract:

The Arab-European dialogue is an important form of dialogue that revolves around issues of an economic and political nature. The Arab oil embargo prompted the European side to initiate dialogue with the Arab side, which welcomed the initiative and put the Palestinian issue as the first Arab issue on the dialogue table, in addition to issues such as the transfer and settlement of technology, and the promotion of benefiting from oil revenues in European banks. The situation of Arab immigrants in European countries, etc. However, the dialogue has encountered difficulties since it was announced. The United States saw it as detrimental to its interests in the Middle East and sought to thwart it. The dialogue was affected by various regional and international changes throughout its years (1973-1990). The dialogue gave many experiences and lessons that can be built upon in the future.

١ـ مقدمة عن الموضوع:

يعد الحوار العربي الأوروبي من الأحداث والنماذج المهمة التي تستحق الوقوف عندها، والتأمل فيها، والإفادة من دروسها، ودراسة عوامل نجاحها، وأسباب فشلها، والخروج بفهم للمحددات والظروف الدولية والإقليمية التي دفعت إلى حدوث توافق عربي- أوروبي نتجت عنه رغبة مشتركة في الحوار. ومما لاشك فيه فإن وجود مصالح مشتركة كان السبب الدافع إلى بدء واستمرار الحوار، وكان الحدث الأبرز الذي ارتبط بالحوار هو حرب أكتوبر ١٩٧٣، وما نتج عنها من قيام الدول العربية الأعضاء في منظمة أوبك في ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ بتخفيض إنتاجها من النفط بنسبة ٥% شهريًّا، وفرض حظر على صادراتها من النفط إلى كل من الولايات المتحدة وهولندا- وهما البلدان اللذان تم اعتبارهما مفرِطين في انحيازهما إلى إسرائيل[١]. والحقيقة هي أن الولايات المتحدة كانت غير راغبة في الحوار الذي تغيب عنه، ولا تشارك فيه، فعملت على تعطيله، وإفراغه من مضمونه، خصوصًا أن الحوار تطرق إلى موضوعين رئيسين هما: النفط، والقضية الفلسطينية. وعندما نتطرق إلى الحوار العربي الأوروبي نجد أنه حوار ذو خصوصية بين الجانبين العربي والأوروبي، إلا أنه على الجانب الآخر تنطبق عليه شروط وضوابط الحوار التي تطرقنا إليها في الدراسة، ومن أهمها توافر الدوافع، والتعامل مع المعوقات التي تقف أمام الحوار.

٢ـ أهمية الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على تجربة عملية للحوار بين جانبين خلال الفترة (١٩٧٣ ـ ١٩٩٠) هما: الجانب العربي، والجانب الأوروبي اللذان يمثلان حضارتين مختلفتين، وتربطهما تفاعلات عدة نابعة من عوامل التاريخ والجغرافيا؛ حيث يشكل البحر المتوسط رابطًا مشتركًا بينهما، أخذًا في الاعتبار أن الحوار الذي استمر قرابة العقد ونصف العقد مر بمراحل اندفاع وتباطؤ، وتوقف ثم عودة مرة أخرى، متأثرًا بظروف دولية وإقليمية مهمة ومؤثرة خلال تلك السنوات. وعليه فإن تركيزنا انصب على معرفة مصالح الأطراف التي دفعتها للحوار، ومعوقات نجاح الحوار للإفادة منها في تجارب الحوار المماثلة.

كما تحاول الدراسة أن تتبين تأثير النظام الدولي- الثنائي القطبية- الذي ساد في تلك الفترة على مجريات الحوار، وتأثير التفاعلات والمواقف البينية التي جرت على الجانبين على الحوار.

٣- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف إجمالًا على خبرة الحوار العربي– الأوروبي بوصفها تجربة مبكرة للحوار بين حضارتين مختلفتين، خصوصًا أن الحوار ارتبط بمصالح وقضايا واقعية، واقتصادية، وسياسية بالأساس، طرحت صراحة على طاولة الحوار، وسعى كل طرف إلى تحقيق أهدافه وفقًا لمبادئ الحوار الذي يعتمد على التعاون والتفاهم، وتقبل وتفهم وجهة النظر الأخرى، ووجود قدر من الاهتمام المتبادل بالموضوع محل الحوار؛ فالحوار العربي الأوروبي فرض نفسه كضرورة ملحة، ووافق الشروط الضمنية المطلوبة لانطلاقه واستمراره. وتهدف الدراسة إلى الإفادة من خبرات ذلك الحوار من حيث الدوافع التي حفزت انطلاقه من جانب، وطبيعة العوائق التي واجهته، وعطلت مسيرته من جانب آخر؛ للإفادة منها فيما يستجد من حوارات يكون الجانب العربي طرفًا فيها سواءً مع الطرف الأوروبي أو غيره من الأطراف.

٤- مشكلة الدراسة:

مثل الحوار العربي الأوروبي نموذجًا عمليًّا مبكرًا للحوار بين الحضارات؛ فقد جرى بين طرفين؛ أحدهما عربي ممَثلًا في جامعة الدول العربية، والآخر أوروبي ممثلًا في السوق الأوروبية المشتركة. إذن فقد جاء الحوار في سياق مؤسسي، ويلاحظ أن مصالح كل طرف توحدت تجاه الطرف الآخر بما يمكن وصفه بأنه حوار بين طرفين أو مجموعتين. ولكي تتفق الأطراف على ضرورة الحوار فيما بينها، فلابد من توافر حد أدنى من التوافق والقبول بين الأطراف لحدوث الحوار، والاتفاق على الأهداف المرجوة منه. كما أنه لابد من أن يكون للحوار بين الحضارات دوافع قوية من المصالح المتبادلة بين الطرفين أو الأطراف المعنية للدخول فيه، وهذا ما توافر بالفعل في حالة الحوار العربي الأوروبي الذي انطلق عام ١٩٧٣، مع رغبة كل طرف في التعايش مع الطرف الآخر، وتحقيق مصالحه معه .

ومن ثم تظهر المشكلة البحثية الأساسية، والتي تتمثل في: ما المصالح العربية والأوروبية التي دفعت نحو انطلاق الحوار بين الجانبين، ومن جانب آخر، ما طبيعة العوائق التي حالت دون تحقيق الحوار لأهدافه، وحادت به عن مساره؟

أسئلة فرعية:

١- ما العامل أو العوامل الأكثر فاعلية في تحقيق أهداف الحوار؟

٢- ما العائق الأهم الذي واجه الحوار العربي الأوروبي في مراحله المختلفة؟

٣- ما الموقف الدولي، وبخاصة موقف الدول العظمى من الحوار؟

٤- هل يصلح الحوار العربي الأوروبي نموذجًا للحوار بين الحضارات الآن؟

٥- مناهج الدراسة :

سوف تستعين الدراسة بمنهج دراسة الحالة في دراسة الحوار العربي الأوروبي خلال الفترة المذكورة (١٩٧٣- ١٩٩٠)، لبيان خصوصية هذا الحوار، والدروس المفادة منه، كما تفيد الدراسة من المنهج التاريخي لتحليل المراحل التي مر بها، وأهم ما ظهر فيها من دوافع ومعوقات للحوار.

٦- تقسيم الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى قسمين؛ يتناول **القسم الأول:** تأصيل مفاهيم الدراسة، وشروط الحوار، ومراحل تطور حوار الحضارات. يتناول **القسم الثاني:** الحوار العربي–الأوروبي من حيث دوافع الطرفين للحوار، ومراحل الحوار، والموقف الدولي من الحوار: موقف الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، ومعوقات الحوار، والدروس المفادة.

القسم الأول: تأصيل مفاهيم الدراسة، وشروط الحوار، ومراحل تطور حوار الحضارات

أولاً- تأصيل مفاهيم الدراسة:

مفهوم الحوار :

الحوار في اللغة هو مراجعة الكلام بين طرفين، وتداوله بينهما. وجذر الكلمة هو (ح و ر)، ووردت في اللسان العربي بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمرادّة في الكلام، ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "قال له صاحبه وهو يحاوره" (الكهف:

٣٧)، وقال عز وجل:" والله يسمع تحاوركما" (المجادلة:١)؛ بمعنى يجاوبه في الكلام ويراجعه ويتداوله معه.[٢] ويختلف الحوار عن الجدال؛ فالحوار أسلوب فيه سهولة وليونة ومحاولة إقناع الطرف الآخر، أما الجدال ففيه معنى المنازعة والمغالبة، ومحاولة إقناع الآخرين بأية حال. أما المناظرة فهي تدل على النظر والتفكر، وتكون في الغالب في المسائل العلمية والقضايا الفكرية، فهي تحتاج إلى إعمال نظر، أو لأنها تعتمد على النظير، والهدف منها هو كشف الصواب بالحجة والدليل والمنطق. أما المراء فهو في اللغة نوع من الجدال يعزم صاحبه على عدم الاقتناع بالوصول إلى نتيجة، فهو فقط يريد المجادلة إما لإظهار براعته في الحديث، أو للفت الانتباه إليه، أو لتضييع حق وإثبات باطل[٣].

ومبرر الحوار هو التباين والاختلاف في التوجهات والرؤى والأولويات، وعليه فإن الحوار يتم حول قضايا وأمور تم التوافُق بين الأطراف على أهميتها[٤]، ومن ثم يعد الحوار وسيلة للتفاهم وتقريب وجهات النظر لتجنب الاختلافات التي تنتج عن تمسك كل طرف برأيه ومصالحه دون اعتبار لرأي ومصالح الآخرين، وهو ما قد ينتج نزاعات تترتب عليها خسائر وأضرار.

الحوار كمفهوم سياسي :

يشير عبدالعزيز التويجري إلى أنه، وعلى الرغم من قدم مصطلح الحوار في اللغة فإنه لم يرد في المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين عامًا الماضية؛ فهو لا يوجد في ميثاق الأمم المتحدة، ولا ضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولا في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية إلخ، ومن ثم فمفهومه لا يكتسب الصفة القانونية، وإنما يأخذ طابع المفهوم السياسي الأيديولوجي الثقافي الحضاري، وليس المفهوم القانوني[٥].

ويعد الحوار أحد الأساليب التي تستخدم في الخطاب الإنساني، والخطاب هو النسق الفكري العام الذي يجمع بين اللغة وممارستها، فهو يجمع بين المبادئ والأفكار وتطبيقاتها في إطار السياق، والخطاب نظام فكري ينتظم بداخله مجموعة من المفاهيم والموضوعات والمقولات والتصورات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي، ومن ثم يمكن الحديث عن أصناف الخطاب الديني والتاريخي والقانوني والسياسي والاجتماعي إلخ. ويعد الحوار أحد أساليب ممارسة هذه الوظيفة الخطابية[٦]، وتأسيسًا على ذلك نجد أنواعًا مختلفة من الحوارات على أرض الواقع مثل: حوار الأديان، وحوار

الثقافات، وحوار الحضارات، وحوار الشمال والجنوب، والحوار العربي الأوروبي إلخ، وهي وإن تنوعت في الموضوعات إلا أن أصول وقواعد الحوار فيها واحدة؛ فهي تلتزم بشروط وضوابط، بل وأخلاق تضع الحوار على المسار الصحيح، وتسهم في تحقيق الأهداف المرجوة منه.

وقد تزامن ظهور مصطلح الحوار في العلاقات الدولية الحديثة بتزايد حدة الصراع الأيديولوجي في حقبة الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي والغربي بقيادة الولايات المتحدة، ولذلك جاءت فكرة الحوار التي طرحها الغرب في مقابل فكرة التعايش التي طرحها الشرق؛ إذ نادى الغرب بالحوار بين الأديان، ثم الحوار بين الثقافات والحضارات، فيما تبنى الاتحاد السوفيتي والشرق الدعوة إلى فكرة التعايش السلمي، والتعايش بين الشعوب. ويلاحظ أن الغرب كان هو المبادر بالدعوة إلى الحوار؛ حيث بدأ في أول الأمر بالتركيز على الجانب الديني، وذلك من خلال الحوار الإسلامي المسيحي، وكانت الكنيسة الغربية هي التي دعت إلى هذ الحوار الذي ارتكز على الهدف الديني، ثم تلاه الحوار في المجال السياسي في صيغة الحوار العربي الأوروبي، تلاه في مرحلة لاحقة الدعوة إلى الحوار بين الشمال والجنوب[٧].

الفرق بين الحوار والمفاوضات :

يمكن أن نميز الحوار عن مفهوم آخر قريب منه وهو المفاوضات، والتي تتم على مستويات متعددة مثل: الشركات، والمنظمات، والدول. ونقصد في حالتنا هذه المفاوضات الدولية التي تعد إحدى الأدوات الرئيسة لتسوية الصراعات الدولية. ويعني التفاوض وجود مصالح متضاربة بين الأطراف، ومن ثم تسعى إلى تبادل وجهات النظر والمقترحات والأفكار من أجل تسوية الاختلافات بينها، والبحث عن مصالح ونقاط التقاء مشتركة ترضي الجانبين، والتوصل إلى بعض أشكال الاتفاق أو التعاهد الشفهي أو الكتابي الرسمي وغير الرسمي[٨]. وعادة ما تكون المفاوضات وسيلة لتسوية أو حل نزاع أو صراع قائم بالفعل لم يفلح الصدام المسلح في حسمه لصالح طرف من الأطراف، أو أن تكون وسيلة لتجنب الصدام المسلح الذي يمكن أن يقع في المستقبل بسبب استمرار وجود المشكلة أو النزاع.

الحضارة :

على الرغم من تردد كلمة أو مصطلح الحضارة civilization كثيرًا فإنه لا يوجد اتفاق بين الباحثين حول تعريف واحد للحضارة لعدة أسباب منها؛ اختلاف وجهات النظر، وتعدد المدارس والتخصصات التي تناولت الموضوع؛ فالعلوم السياسية والفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والتاريخ وغيرها من العلوم تناولت دراسة الحضارات والحوار بينها بشكل أو بآخر.

والحضارة في اللغة مشتقة من الجذر اللغوي "حضر" بمعنى شهد، وهو عكس الغياب، وحضر في القرآن الكريم تعني شهد قال تعالى:" وإذا حضر القسمة أولو القربي" (النساء: ٨)، ورجع أغلبية الباحثين في أصل مفهوم الحضارة إلى معنى سكنى الحضر، وهو عكس البداوة. فالحضارة من حضر يحضر، بمعنى يحضر الشخص ليعمل ويتعاون مع الآخرين كي يتأنس ويؤنس محيطه، ويهيئ الشروط لتوافر الكرامة في محيط تعاملات أفراده. وتأسيسًا عليه فالحضارة هي إرث إنساني مشترك بين جميع الشعوب قديمًا وحديثًا، ينمو ويتطور ويجسد التعاون والرقي والإجادة والإفادة المشتركة مع الآخرين[٩].

والحضارة بمعنى الحضور مرحلة متقدمة في تجربة أي مجتمع؛ فكثير من المجتمعات الإنسانية يقتصر على مجرد الوجود فقط، ومن ثم لا يمكن إطلاق مفهوم الحضارة عليه حتى لو قدم نتاجًا فكريًّا وماديًّا مهما؛ ذلك أن قيام أي مجتمع يستلزم نمطًا من الأفكار والمعتقدات والسلوك إلخ، كما يستلزم نمطًا من الأدوات والعمارة والفنون وطرق الإنتاج التقليدية المبتكرة، وتوافر كلا النمطين الفكري والمادي يعنى أن المجتمع حقق العمران؛ بمعنى تعمير الأرض، وبناء نموذج إنساني عليها، وهذا يعني الوجود فقط لكن لا يتعداه إلى الحضارة؛ ذلك أن الحضور بالمعنى المقصود للحضارة يستلزم إضافةً إلى شرط العمران تقديم نموذج إنساني للاقتداء به، والتبشير به، والدعوة إليه، كما يتضمن هذا النموذج العلاقات مع الآخرين من البشر، ومع الكون[١٠]. والحقيقة أن هذا التعريف للحضارة يتميز عن غيره من التعريفات بفكرة وجود نموذج إنساني للاقتداء به بما يعني ضمنيًّا وجود رسالة لتلك الحضارة تعمل على إيصالها للعالم. ويرى هذا التعريف ضرورة توافر الأبعاد الأتية للحضارة[١١]: ١- وجود نسق عقيدي للعلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله. ٢- وجود بناء فكري سلوكي للقيم والأخلاق السائدة في المجتمع. ٣- وجود بناء مادي يشمل الأبعاد المادية للحياة من أدوات ومؤسسات وفنون وعمارة إلخ.

٤- وجود نمط للعلاقة مع الكون وما يحتويه من أشياء وضرورات للحياة. ٥- تحديد نمط العلاقة مع الآخرين في المجتمعات الإنسانية الأخرى، وأسس التعامل معها، وأسلوب إقناعها بهذا النموذج المتكامل، والهدف منه إلخ.

الحضارة والفرق بينها وبين المفاهيم الأخرى (الثقافة والتنوير):

بعد أن قدمنا تأصيلًا لمفهوم الحضارة civilization نريد أن نوضح في هذا الجزء الفرق بينها وبين مفاهيم أخرى تتداخل معها مثل: الثقافة culture، والتنوير enlightenment، وهي الأكثر قربًا وارتباطًا بمفهوم الحضارة.

وهناك رأي مفاده: أن مصطلح أو مفهوم الثقافة لم يتخذ معنى محددًا إلا على أيدي علماء "الأنثروبولوجي" الذين استخدموا المصطلح للدلالة على ما صنعه شعب من الشعوب من أدوات ومصنوعات يدوية، ونظم اجتماعية، وأساليب للعبادة وطقوس؛ أي أنها كل ما صنعه الإنسان أينما وجد، فهي من وجهة نظر علماء الاجتماع المعروفين باسم "الأنثروبولوجيين" أسلوب حياة المجتمع[١٢].

وقد تباينت الآراء حول الفرق بين الثقافة والحضارة، وأيهما يسبق الآخر؛ حيث يرى أولها أن الثقافة هي الأصل، وهي بمنزلة الأم بوصفها الأوسع مجالًا وتأثيرًا في نشوء الحضارة، والتي لا يمكن أن تنشأ في ظل غياب العلوم والمعارف والفنون في أمة من الأمم، لكن من الممكن أن توجد ثقافة دون أن تقود إلى نشأة حضارة عنها، ومن ثم يمكن القول بأنه يمكن أن توجد حضارة بلا ثقافة، ولكن لا يمكن أن توجد ثقافة في مجتمع ما أو كيان ما ولا تؤدي إلى حضارة، ومن مثال ذلك ثقافة العرب قبل الإسلام. ويرى هذا الرأي أن الثقافة ترتبط أكثر بحياة الإنسان ونمط حياته وسلوكه؛ لذلك فهي ترتبط بأساليب العيش، ومذاهب الناس، وما لهم من نظم روحية واجتماعية واقتصادية وسياسية وفنون إلخ[١٣].

أما الحضارة- وفقًا لهذا الرأي- فهي تتعلق في غالبها بتشكيل الإطار أو الحدود الخارجية التي يعيش فيها الإنسان، وبقدرته على تشكيل البيئة الطبيعية والإنسانية التي يعيش فيها في جوانب مثل: اختراع وتطوير الأدوات والتقنيات اللازمة لتسخير البيئة من حوله لمصلحته، وتطوره ورفاهيته. ومن مواصفات الحضارات تخليد ذكراها وذاكرتها عبر السنوات، وذلك من خلال إسهاماتها في جوانب مثل: البناء والتشييد في المعابد والمصانع والقصور إلخ، كما في الحضارات المصرية، وكأنها تتحدى الزمن، وتخبرنا

الحضارة- بهذا المعنى- بأنها أطول من الإنسان عمرًا وأعظم أثرًا[١٤]. وقد ظهرت في ألمانيا محاولات فكرية مستقلة للتفريق بشكل حاسم بين الثقافة والحضارة على يد فلهلم فون همبولدت، ثم كل من ليبرت، وبارث، والتي تجعل الثقافة تختص بالأنشطة التكنولوجية- الاقتصادية، أو ما يمكن أن يطلق عليه المجال المادي، أما الحضارة فتهتم بإثراء الجوانب الروحية[١٥].

أما أحمد زايد فيرى أن الثقافة هي تلك المخططات العقلية التي يتم تعلُّمها من المجتمع الذي نعيش فيه، فنحن لا نولد بها، وتسكن في داخلنا، فهي المجتمع مخزونًا في العقول، ولكل ثقافة "جانب مضيء" سواءً كان هذا الجانب دينًا وهندسة ومعتقدات في الحضارة الفرعونية، وفكرًا في الحضارة الإغريقية القديمة، وقانونًا في الحضارة الرومانية، وتكنولوجيا في الحضارة الحديثة، فهذا هو الذي يشكل ما يسمى بالحضارة[١٦].

بينما التنوير في اللغة- كما جاء في لسان العرب لابن منظور- فهو وقت إسفار الصبح، والتنوير: الإنارة. وفي المعجم الوسيط، استنار: أضاء. ويطلق اسم النور على الهداية، كما جاء في قوله عز وجل: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" (البقرة: ٢٥٧). وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم أن النور هو المعارف والحقائق التي تزيل الشك، وتجلب اليقين في العقائد. أما من حيث المصطلح فقد ظهر مصطلح التنوير في القرنين السادس عشر والسابع عشر في قارة أوروبا للتعبير عن الفكر الليبرالي البرجوازي المتسم بالنزعة العقلية العلمية التجريبية[١٧]. ومن المعروف أن أوروبا كانت تعيش في ظلام دامس في العصور الوسطى؛ حيث كانت واقعة تحت سلطة الكنيسة، وقد نتج عن الصراع بين العلم والدين، والمفكرين واللاهوتيين انتصار الفكر والعقل، وتقلص سلطة الكنيسة، واستقلال العلم عن الدين. وقد قاد الانطلاقة الفكرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الكثير من كبار المفكرين التنويرين مثل: جون لوك، وديفيد هيوم، وإسحاق نيوتن في إنجلترا، وفولتير في فرنسا، وكل من وليبنتز، وليسنج في ألمانيا، وأصبح مفهوم التنوير يمثل حركة عقلية أوروبية آمنت بأن تقدُّم البشرية يكون عن طريق العقل والبحث العلمي، على أن يكون هدف التنوير هو خير وسعادة ومنفعة الفرد والمجتمع أيضًا[١٨].

ثانيًا- شروط الحوار:

هناك من الباحثين من رأى ضرورة توافر ضوابط أو شروط معينة لنجاح الحوار تنطبق على أنواع الحوارات المختلفة، مع التأكيد على مراعاة خصوصية موضوع الحوار (سياسي، اقتصادي، ديني، ثقافي إلخ)، والمستوى الذي يتم فيه (داخلي، إقليمي، دولي)، وعدد الأطراف في الحوار وغيرها، وتتمثل فيما يأتي:

١- الاعتراف المتبادل بالآخر، والشعور بالمساواة معه، واحترام حضارته وقيمه وفكره بشكل متبادل[١٩].

٢- البعد عن المسلمات والافتراضات المسبقة، والمثابرة على فهم أهداف الآخرين ومقاصدهم، والبحث بصدق عن أرضية مشتركة للتعاون بين الأطراف المتحاورة[٢٠].

٣- البعد عن الموضوعات الخلافية التي لا سبيل إلى إزالتها إلا بتنازل طرف عن ثوابته العقدية؛ لأن من شأن ذلك إيقاف الحوار، أو التأثير على استمراره[٢١].

٤- أن يكون هدف الحوار هو تحقيق منافع مشتركة بين الطرفين، وتأمين وتعزيز مصالحهما التي يحرصان عليها في المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وهى مجالات يمكن أن تندرج تحتها عشرات القضايا الحيوية التي يمكن التفاهم والتعاون بشأنها.

٥- أن يسير الحوار في خطوط متوازية، وفقًا لخطة محددة، حتى لا يتسبب تعطل مسار معين في تعطيل المسارات الأخرى بحيث تتداخل وتترابط حلقات الحوار وصولًا إلى التكامل بين الأهداف المتوخاة[٢٢].

٦- ألا ينحصر الحوار في المستويين العالمي والدولي فقط، رغم أهميتهما الفائقة، بل ينبغي أن يشمل المستوى الإقليمي أيضًا؛ ففي إقليم الشرق الأوسط- على سبيل المثال- عرب وإيرانيون وأتراك في حاجة إلى تحقيق تقارب في قضايا فكرية وثقافية عدة، ويعزز حوارهم على المستوى الإقليمي الحوار الدولي.

٧- من الضوابط المهمة التي ترتبط أكثر بحوار الحضارات، لكنها ضرورية في كل أنواع الحوار، هي أن يتوقف الغرب عن فرض نموذج صدام الحضارات. ويرى حسن حنفي- على سبيل المثال- أن الغرب مارس صدام الحضارات قديمًا؛ إذ فرض الإسكندر

على دول جنوب المتوسط اللغة والثقافة اليونانية بديلًا عن الثقافات الأخرى السائدة التي كانت بربرية من وجهة نظره، وسارت فرنسا على نفسه المنوال فعملت على القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الجزائر؛ ضمن جهودها لتحويلها إلى مقاطعة فرنسية[٢٣].

ثالثًا- مراحل تطور حوار الحضارات :

عند النظر في فكرة حوار الحضارات خلال القرن العشرين وما بعده يمكن الحديث عن أربع مراحل أساسية تشرح طبيعة الأطوار التي مرت بها هذه الفكرة كما يأتي[٢٤]:

المرحلة الأولى: بدأت هذه المرحلة في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين؛ حيث تبنى الدعوة للحوار بين الحضارات الباحث والمفكر الفرنسي روجيه جارودي في كتابه: "من أجل حوار بين الحضارات" الذي صدر في عام ١٩٧٧، ويعد جارودي من أشد المناصرين والمدافعين عن فكرة الحوار بين الحضارات؛ إذ رأى أن الغرب في الربع الأخير من القرن العشرين يعيش في أزمة ترجع جذورها إلى عصر النهضة الذي شهد ميلاد الرأسمالية والاستعمار معًا، وما صاحبهما من تنكر لجميع الثقافات الأخرى غير الأوروبية، وأن الحضارة الغربية قد اتبعت في تقدمها منذ القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن العشرين طريقًا أوصلها إلى أزمة عميقة ذات ثلاثة أبعاد هي[٢٥]: أولًا- ترجيح جانب الفعل والعمل بحيث يتحول الإنسان إلى آلة للإنتاج والاستهلاك على حساب الجوانب الروحية والأخلاقية. ثانيًا- ترجيح قيمة العقل وجعله المحرك القادر على حل جميع المشكلات، وتجاوز كل العقبات. ثالثًا- ترجيح جانب الكم بوصفه المعيار والمقياس للحضارة الغربية. ويرى المفكر الفرنسي جارودي أن الغرب هو المعني بهذه الدعوة للحوار؛ لأن من مصلحته تصحيح مساره بعد أن وصل إلى وصفه بأنه في مأزق حضاري خطير[٢٦]، ومن ثم فإن الحوار بالنسبة للغرب مع الشرق هو ضرورة ملحة لا سبيل للتغاضي عنها.

المرحلة الثانية: والتي بدأت مع كتابات المفكر الأمريكي أستاذ العلوم السياسية صمويل هانتنجتون عن صدام الحضارات التي بدأت في صيف عام ١٩٩٣ في مقالته في مجلة Foreign Affairs، والتي طورها إلى كتاب صدر عام ١٩٩٦ بعنوان:" صدام الحضارات، وإعادة صياغة النظام العالمي"، ومنذ ذلك الوقت تصاعدت النقاشات والاختلافات بين الخبراء والأكاديميين والسياسيين حول الموضوع الذي تحول إلى أحد

أنشط الموضوعات حضورًا في المراكز البحثية حول العالم[٢٧]، وقد جاءت أطروحة هانتنجتون في توقيت نهاية سنوات الحرب الباردة؛ حيث كانت التطلعات متفائلة بنهاية مناخ التوتر الدولي الذي ساد تلك الحقبة من سباق التسلح العالمي، والحروب بالوكالة... وغيرها، لكن جاءت مقولات هانتنجتون عن حتمية الصدام بين الحضارات لتبعث المخاوف من جديد[٢٨]، وتبشر بحرب باردة بينها أشد خطورة؛ مما كانت عليه بين الدول في المرحلة السابقة!، وقد ساعدت مكانة هانتنجتون كمفكر معروف على انتشار أفكاره، وأيضًا الآلة الإعلامية الأمريكية الضخمة، والتي كانت مدفوعة- بدورها- بقوة من السياسة الأمريكية؛ بهدف اقتناص لحظة الفوز الساحق للنظام الرأسمالي الليبرالي[٢٩]. لكن وجهة النظر الأخرى تقول: إن كتابات هانتنجتون عن حتمية صدام الحضارات، هي نفسها التي حفزت في المقابل الاهتمام العالمي بالحوار كبديل عقلاني له[٣٠].

المرحلة الثالثة: الأمم المتحدة وحوار الحضارات، وقد أطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة اسم مؤسسية الحوار وعالميته؛ حيث يؤرخ لهذه المرحلة بموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين عام ١٩٩٨ على اقتراح باختيار سنة ٢٠٠١ سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات استجابةً لطلب الرئيس الإيراني محمد خاتمي في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أغسطس ١٩٩٨[٣١]، وينطلق خاتمي- الذي صدر كتاب له بعنوان: "حوار الحضارات" عام ٢٠٠٣- من فكرة إيجابية الحوار، وعلى الرغم من التسليم بوجود تهديد يمثله الغرب للحضارة الإسلامية، فإن من الممكن إيجاد نقاط التقاء مشتركة معه من خلال ثلاثة محاور هي: أولًا: المحور النقدي الذي يتم من خلاله تحديد السلبيات في الحضارة الغربية، ثانيًا: محور الإفادة من المنجزات الفكرية والمادية للحضارة الغربية. ثالثًا: محور قدرة الشرق على الإسهام والعطاء للإنسانية في المستقبل كما حدث في الماضي. ويرى خاتمي أن أساس أي حوار بين الشرق والغرب ينبغي أن يقوم على أساس أنهما شريكان في الحوار، وأطراف جادة في النقاش، كما يجب أن يدور الحوار حول الحاجات الملحة التي تظهر في حياة الإنسان حاضرًا ومستقبلًا[٣٢].

من جانب آخر تشير الدراسات إلى أن دور الأمم المتحدة في رعاية حوار الحضارات قديم؛ حيث يعود إلى عام ١٩٤٩ عندما قامت اليونسكو بدور نشط لدعم حوار الحضارات؛ إذ اجتمعت "لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات" في نوفمبر ١٩٤٩، كما صدر عن اليونسكو عام ١٩٦٦ "إعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي" الذي أصبح أحد المحاور الأساسية لليونسكو في مجال الثقافة، والذي ينص في مادته

الأولى على أن لكل حضارة قيمتها واعتبارها، وأن تنوع الحضارات واختلافاتها هو أمر إيجابي له تأثير متبادل، ويعد جزءًا مهمًّا من الإرث البشري[٣٣].

المرحلة الرابعة: بدأت مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ التي أصابت العالم بهزة عنيفة، وقلبت معادلاته وتوازناته، وأصبحت الحدث الذي تؤرخ به الألفية الثالثة الجديدة، وتأثرت به التطورات والتغيرات اللاحقة مدفوعة بمبررات مكافحة الإرهاب ونشر الديمقراطية. ومما لاشك فيه فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر خلقت أجواءً مناسبة للحديث عن صدام الحضارات[٣٤]، وليس الحوار بينها، فقد رفعت الولايات المتحدة الأمريكية شعار من ليس معنا فهو ضدنا فيما أسمته الحرب العالمية على الإرهاب التي بدأت بأفغانستان في أكتوبر ٢٠٠١، ثم العراق في مارس ٢٠٠٣[٣٥]. ومن الواضح أنه كان هناك حافز للصدام بين دولة عظمى تمثل القطب الأوحد في النظام الدولي السائد في ذلك الوقت، وبوصفها صاحبة حضارة منتصرة هي الحضارة الرأسمالية الغربية ضد حضارات وثقافات ترى أنها تدعم الإرهاب، وتبحث عن أسلحة الدمار الشامل، وتفتقد للديمقراطية. وقد ظهرت مخاوف حقيقية في الدول التي لا تقع ضمن هذه الحضارة (الرأسمالية المنتصرة) من أن أحداث سبتمبر ٢٠٠١ سوف تعيد مرة أخرى الخطاب الغربي الذي ساد منذ عصر التنوير، وقام عليه مشروع الحداثة الغربية، والذي يفرق بين البربر (شعوب الأرض جميعها) وأهل المدنية ويمثلهم شعوب الغرب الذي خرج منتصرًا من ظلمات القرون الوسطى إلى عصور التنوير والثورة الصناعية وما تلاها من ثورات أكدت انتصاره وتميزه عن هؤلاء البربر[٣٦]. وقد شهدت هذه المرحلة تشكل حضارة عالمية تحت تأثير العولمة ورمزها المتمثل في شبكة الإنترنت التي أبرزت ملامح تلك الحضارة، التي تعتمد على الثورة العلمية والتكنولوجية، والتي ساعدت الغرب على الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات العالمي الذي يتحول نحو مجتمع المعرفة.[٣٧]

القسم الثاني: دوافع الطرفين للحوار، ومراحل الحوار، والموقف الدولي، ومعوقات الحوار والدروس المستفادة.

مقدمة:

شكل البحر المتوسط محور الصراع بين القطبين المتنافسين (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي) خلال فترة الحرب الباردة (١٩٤٥- ١٩٩١)؛ حيث كثف

كل منهما وجوده العسكري في مياه المتوسط، وخضعت دول المتوسط لطبيعة النظام الدولي القائم، فانقسمت إلى قسمين وفقًا لصراع الأيديولوجيات العالمية بين الشرق والغرب. وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتحرك الأوضاع الساكنة في المنطقة، وأدت إلى عدة نتائج مهمة منها: أنها غيرت ميزان القوى الدولي في المتوسط لصالح الولايات المتحدة التي تبنت عملية السلام بين مصر وإسرائيل كمدخل للسلام العربي الإسرائيلي، وبدأ الحديث عن قبول إسرائيل كدولة متوسطية في المنطقة على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام، كما أظهرت الحرب حاجة الغرب إلى النفط العربي بعد قرار الطرف العربي بحظر النفط على الغرب؛ نظرًا لمواقفه المتحيزة لصالح إسرائيل.

الحوار العربي – الأوروبي:

يعد الحوار العربي الأوروبي من تجارب الحوارات المهمة عالميًّا؛ حيث لعب البحر المتوسط دوره كمحور ارتكاز وفاصل بين أوروبا شمالًا والجانب العربي جنوبًا. وقد تميز الحوار بمجموعة من المميزات هي[٣٨]:

١- أنه تعامل بين نظامين إقليميين، وحضارتين أيضًا؛ إحداهما عربية، والأخرى أوروبية.

٢- أنه تعامل بين نظامين يرتبطان بعلاقة الجوار الجغرافي؛ حيث إن أحدهما يمثل الساحل الشمالي للبحر المتوسط، ويمثل ثانيهما الساحل الجنوبي والشرقي له.

٣- أنه مثل نموذجًا لحوار رسمي بين الطرفين العربي والأوروبي ينبع من محاولة كل طرف تحقيق مصالحه بشكل توافقي مع الطرف الآخر.

٤- كانت للجانب العربي أوراق قوة، وعوامل ضغط يمسك بها في هذا الحوار ألا وهي وحدة الصف، والتحكم في النفط الذي يصدره العرب لأوروبا.

٥- أن هناك تفاوتًا كبيرًا في مؤشرات النمو الاقتصادي بين دول شمال المتوسط وجنوبه لصالح الشمال.

٦- تباين درجة التعاون الاقتصادي البيني التي تحققت في كل منطقة؛ ففي حين خطت الجماعة الأوروبية خطوات كبيرة على طريق التعاون والاندماج الاقتصادي، دون أن

تحقق نفسه النجاح على المستوى السياسي، نجد أن الجانب العربي، ورغم كل مقومات التقارب المتوافرة، لم يخط خطوات إيجابية في أي من المجالين.

ولقد كان من أهم تداعيات حرب أكتوبر ١٩٧٣ الحظر النفطي العربي على الغرب؛ بسبب دعمه القوي لإسرائيل، وهنا استشعرت أوروبا الخطر، وتفجرت الأزمة التي هددت المصالح الأوروبية ودفعتها للسعي نحو الحوار؛ لأن مصالحها الحيوية وممثلة في أمن الطاقة تعرضت للخطر.

وهنا أيضًا، بدأ الحوار العربي الأوروبي الذي جاء كحوار عبر المتوسط بين الطرف الشمالي الأوروبي المتقدم صناعيًّا، ومثلته الجماعة الأوروبية بدولها التسع في ذلك الوقت (الدول الست المؤسسة: فرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، وبلجيكا، وهولندا، ولكسمبورج، وكل من المملكة المتحدة والدانمارك وإيرلندا التي انضمت للجماعة مع مطلع عام ١٩٧٣)[٣٩]، والطرف الجنوبي العربي النامي ومثلته جامعة الدول العربية. وفي واقع الأمر فإن الحوار العربي الأوروبي من الأحداث المهمة التي تستحق الوقوف عندها، والتأمل فيها، والإفادة من دروسها، ودراسة عوامل نجاحها، وأسباب فشلها، والخروج بفهمٍ للمحددات والظروف الدولية والإقليمية التي دفعت إلى تقارب مصالح؛ عربي أوروبي ينتج عنه حوار.

أولًا- دوافع الطرفين العربي والأوروبي للحوار :

- دوافع الطرف العربي للحوار :

لخص أحد الخبراء في العلاقات العربية- الأوروبية دوافع الطرف العربي لفرض الحظر النفطي على الغرب في لفت الأنظار إلى ضرورة حل النزاع العربي الإسرائيلي الذي أضر بالمنطقة، وأعاق تنميتها، والبرهنة على إرادة العرب بأن يصبحوا شركاء فاعلين في السياسة الدولية [٤٠]. ويمكن القول بأن هذه الأسباب ذاتها هي أقوى دواعي الطرف العربي للدخول في الحوار، وبذلك يمكن إجمال هذه الدوافع في:

١- التوصل إلى حل عادل للصراع العربي الإسرائيلي، وتتمثل أولوياته في استعادة كافة الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

٢- رغبة الطرف العربي في أن تسانده الجماعة الأوروبية في تحقيق أهدافه المتعلقة بالتنمية والاستقرار.

٣- الطموح العربي إلى لعب دور أكبر على الساحة الدولية يتناسب مع تعداد العرب السكاني، وثرواتهم الطبيعية، والموقع الجغرافي المتميز لهم، والتحول من دور التابع إلى دور الشريك في السياسة الدولية.

ويمكن تفصيل ما سبق من دوافع للحوار في الدوافع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

١- الدوافع السياسية :

سعت الدول العربية للإفادة من الثقل السياسي المتزايد لأوروبا على الساحة الدولية في دعم القضايا العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية؛ فأوروبا تتمتع بوزن سياسي مهم أخذ يزداد مع توجهها النشط منذ مطلع الخمسينيات من القرن العشرين؛ لتحقيق وحدتها، والتنسيق بين دولها على جميع المستويات. وبلغت أوروبا درجة كبيرة من الأهمية حين وصل عدد الدول الأعضاء في الجماعة الأوروبية في عام ١٩٧٣ تسع دول تعد من أهم وأكبر دول القارة[٤١]، علاوة على أن دولتين منها هما بريطانيا وفرنسا تتمتعان بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي. كما أن الدول الأوروبية تشكل الغالبية في عضوية معظم المؤسسات والمنظمات والتجمعات الدولية الاقتصادية والسياسية والأمنية، وبناءً عليه فإن للعرب مصلحة واضحة في تدعيم أواصر التعاون مع أوروبا.

وإذا كان الطرف العربي يدرك أنه لن ينجح في استمالة أوروبا بشكل كامل إلى جانبه في قضاياه، فإن بإمكانه- على أقل تقدير- تحييد وتقليل حدة اندفاع الطرف الأوروبي لدعم سياسات إسرائيل. وقد كان الموقف الأوروبي المتوازن عام ١٩٦٧، والذي تمثل في الوقوف إلى جانب القرار (٢٤٢) في مجلس الأمن الدولي دافعاً قوياً للعرب للحصول على المزيد من المواقف الأوروبية المحايدة، والتي تحقق المصالح العربية.

من جانب آخر كان الطرف العربي يأمل في أن تلعب أوروبا دورًا ما لكبح جماح الاندفاع الأمريكي القوي والمستمر الداعم لإسرائيل؛ نظرًا لعلاقات التحالف الوطيدة التي تربط جانبي الأطلسي. وإذا كان الأوروبيون لا يملكون سلطة إجبار الولايات المتحدة على سياسات معينة، إلا أنهم يستطيعون إبداء رأيهم تاركين لواشنطن مهمة البحث عن

الحلول، يضاف إلى ذلك أن بعض العرب كانوا يأملون في أن يتوصلوا- في حال نجاحهم في تعزيز علاقاتهم مع أوروبا- إلى خلق خلاف وتباين في المصالح بين الأمريكيين والأوروبيين[٤٢].

وفضلًا عن ذلك فإن فكرة توثيق التعاون مع أوروبا كانت تمثل بالنسبة لجانب من العرب نجاحًا عمليًّا لسياسة عدم الانحياز؛ وذلك عن طريق التخلص التدريجي من سلطة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي على حد سواء؛ فأوروبا تستطيع أن تقدم للجانب العربي الدعم الذي ينشده على جميع المستويات: السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية، وقد ينجح العربي -أيضًا- في الحصول على تجهيزات عسكرية أوروبية تنافس مثيلاتها السوفييتية والأمريكية، بل قد تتفوق عليها في بعض الصناعات[٤٣].

٢- الدوافع الاقتصادية:

إذا كانت الدوافع السياسية هي الدوافع المركزية والأساسية التي دفعت العرب للتوجه نحو أوروبا، إلا أنه يمكن الحديث -أيضًا- عن دوافع اقتصادية عربية للحوار؛ حيث اتسمت العلاقات الاقتصادية بين الجانبين منذ حصول الدول العربية على استقلالها وحتى حرب ١٩٧٣ بالفتور والضعف، وإذا كانت بعض الدول العربية قد تمكنت من التوصل إلى توقيع اتفاقيات تجارية مع دول الجماعة الأوروبية، إلا أنها ظلت محصورة في طابعها الجمركي، وبعض التسهيلات التجارية المحدودة، فالدول العربية كانت تأمل من خلال الجانب الاقتصادي للحوار أن تعزز نصيبها في ميدان نقل وتوطين التكنولوجيا الأوروبية إليها[٤٤].

أما الدول العربية النفطية فقد كانت مهتمة بحماية وتعزيز استثماراتها المتنامية في أوروبا، ومن ثم دفعت باتجاه سن قوانين وتشريعات أوروبية تضمن ذلك، فتلك الدول تعلم أن النفط مورد اقتصادي غير متجدد، ومن ثم يتوجب عليها أن تعزز استثماراتها وعوائدها المالية المتزايدة من بيع النفط التي بدأت في تحويلها إلى المصارف الغربية، والتي ارتفعت بشكل لافت للنظر إثر ارتفاع أسعار البترول بعد الحرب؛ لتبلغ أرصدة الدول العربية في أوروبا بنهاية عام ١٩٧٣ مبلغ خمسة وعشرين مليار دولار[٤٥].

وأخيرًا يأتي الدافع الاقتصادي المهم المتمثل في تعزيز العلاقات التجارية مع أوروبا، خصوصًا أنها تأتي في طليعة الدول الشريكة للجانب العربي في المشرق والمغرب، ومن

الطبيعي أن تزداد حاجة العرب إلى المعدات والتكنولوجيا الأوروبية لتحقيق برامجها في التنمية والتطوير التي وضعتها منذ الاستقلال. ويكفي أن نعلم أن مجموعة الدول الصناعية السبع الكبرى التي تأسست في مطلع السبعينيات ضمت في عضويتها أربع دول أوروبية: (فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، والمملكة المتحدة). كما أن العرب، وبسبب زيادة إنتاجهم من المواد الأولية، أصبحوا بحاجة إلى إيجاد أسواق جديدة؛ لتصدير منتجاتهم، وبرزت الأسواق الأوروبية بوصفها أفضل الأسواق العالمية؛ بسبب القرب الجغرافي، وتزايد القوة الشرائية في دول أوروبا[٤٦].

٣- الدوافع الاجتماعية والثقافية:

استقرت في القارة الأوروبية منذ مطلع القرن العشرين أعداداً كبيرة من المهاجرين العرب وخصوصًا من دول المغرب العربي، وهؤلاء لعبوا دورا مهمًّا في دفع عجلة التطور والتنمية في أوروبا. كما ساعدوا عن طريق تحويلاتهم المالية إلى وطنهم الأم على تحسين الأوضاع الاقتصادية في بلادهم، وكان من الطبيعي أن تبدي الدول العربية اهتمامًا بأوضاع مواطنيها من المهاجرين، وأن تطالب بضمان حقوقهم، وتأمين الظروف الاجتماعية والصحية والثقافية المناسبة لهم، ولهذا بدأت الدول العربية المغاربية في إدراج موضوع اليد العاملة والمهاجرين على جدول اجتماعاتها ولقاءاتها مع الجانب الأوروبي. كما كانت الدول العربية تتطلع إلى التعرف عن قرب على تجارب الأوروبيين، وتقدمهم في القطاعات الاجتماعية المختلفة مثل الضمان الاجتماعي، وقوانين التقاعد، وظروف العمل، وحقوق العمال، والأمومة، والضمان الصحي ... وغيرها؛ لأن أوروبا تمكنت من قطع أشواط كبيرة في هذه القطاعات منذ مطلع القرن العشرين[٤٧].

أما بالنسبة للدوافع الثقافية، فقد بدأت بعثات دراسية من الطلاب العرب تتوافد على أوروبا للدراسة في جامعاتها، والتعرف على ثقافتها، وفي المقابل قدِم خبراء وتقنيون من أوروبا؛ للعمل في الدول العربية. وقد شدد العرب مرارًا على البعد الثقافي في علاقاتهم مع أوروبا، وطالبوا في اجتماعاتهم بأن يعمل الجانب الأوروبي على إظهار ثقافتهم وتراثهم الحضاري، ومساهمة العلماء والمفكرين العرب الفعالة في الحضارة الأوروبية، وأن تشجع أوروبا تعلم اللغة العربية، وتكافح العنصرية المتنامية ضد العرب[٤٨].

- دوافع الطرف الأوروبي للحوار:

١- كان السبب الرئيس الذي دفع الطرف الأوروبي للحوار هو ما تمخضت عنه حرب أكتوبر ١٩٧٣ من تهديد للمصالح الأوروبية في أمرين مهمين؛ أولهما هو أزمة الطاقة التي عانت منها أوروبا؛ بسبب الحظر النفطي العربي الذي قرره وزراء النفط العرب يوم السابع عشر من أكتوبر في الكويت، والذي عرف في الأوساط الغربية باسم The Arab oil embargo، وثانيهما هو خطر امتداد الحرب إلى أوروبا؛ فقد ثبت فعليًّا أن أمن البحر المتوسط لا يتجزأ، وأن أمن أوروبا مرتبط بأمن الوطن العربي[٤٩]. وكان وزير الخارجية الفرنسي ميشيل جوبير أول من استعمل عبارة حوار عربي- أوروبي في حديث صحفي في ديسمبر ١٩٧٣؛ الأمر الذي يشير إلى رغبته في وضع اللقاءات بين الجانبين، ضمن إطار الحوار الذي يعد أكثر قوة وشمولًا من إطار المفاوضات التقليدي[٥٠].

٢- أثرت حرب أكتوبر على استقرار المنطقة العربية، وهو ما يؤثر بدوره على مصالح واستقرار الجماعة الأوروبية؛ فعلاوة على أزمة الطاقة قلصت الحرب العلاقات التجارية مع العالم العربي، كما أن عدم الاستقرار قد يدفع إحدى القوتين العظميين، أو كليهما؛ للتدخل في المنطقة المتاخمة للحدود الأوروبية[٥١].

٣- إضافةً إلى العلاقات النفطية والتجارية كانت هناك العلاقات المالية التي تسعى أوروبا للحفاظ عليها، فقد بلغت أرصدة الدول العربية في أوروبا بنهاية عام ١٩٧٣ مبلغ خمسة وعشرين مليار دولار، بجانب أربعة عشر مليار دولار أخرى، مودعة في الولايات المتحدة، وقد زادت الأرصدة بنسبة ٦٠% في عام ١٩٧٤[٥٢].

ويمكن تفصيل هذه الدوافع إلى دوافع سياسية واقتصادية وأمنية، كما سنوضح فيما يأتي:

١- الدوافع السياسية:

لم تكن الدوافع السياسية للحوار على الجانب الأوروبي على القدر نفسه من الأهمية بالنسبة للجانب العربي؛ فإذا كانت القضية الفلسطينية قد شكلت محور اهتمام العرب، ومركز تحركاتهم، فلم يكن لدى أوروبا مثل هذه القضية المتمثلة في أراضٍ محتلة،

وشعب يخضع للقمع والاضطهاد؛ لذلك لم تكن أوروبا تطمح من الحوار مع العرب إلى الحصول على دعمهم السياسي لها أو لقضاياها، ومع ذلك فإن من مصلحة أوروبا أن تدعم وتقوي علاقاتها مع العرب؛ لأنهم كانوا يتمتعون، حينئذٍ، بثقل سياسي واستراتيجي مهم[٥٣]؛ فهم مدعومون من دول حركة عدم الانحياز في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا، ومن دول منظمة المؤتمر الإسلامي، ويشكل الجميع ـ آنذاك ـ حوالي ثلثي عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وهؤلاء قوة سياسية ضاغطة- دون شك- من مصلحة القوى الأخرى التقرب منها، وإقامة علاقات طيبة معها.

لكن جل ما كان يقلق الأوروبيين آنذاك هو خطر امتداد العنف إليهم؛ لأن حروب منطقة الشرق الأوسط وما نتج عنها من احتلال أراضٍ وقمعٍ ولاجئين ستؤدي إلى تنامي التطرف، وتزايد العنف، وستصل هذه المشكلات إلى قلب القارة الأوروبية؛ نظرًا للقرب الجغرافي، والتفاعل التاريخي المستمر بين الجانبين، حيث أثر كل منهما في الآخر دون شك. كما أن عددًا من الدول الأوروبية كان قلقًا من تزايد تدخلات القوتين العظميين في المنطقة عبر سلسلة من التحالفات والمعاهدات وللوجود العسكري المتزايد في بعض دولها[٥٤].

٢ ـ الدوافع الاقتصادية:

تجلت الدوافع الاقتصادية الأكثر أهمية وإلحاحًا للحوار بالنسبة للأوروبيين فيما يأتي:

أ ـ الطاقة: لم تشعر دول القارة الأوروبية بأي قلق حيال الطاقة خلال عقد الستينيات وحتى عام ١٩٧٣؛ لأن البترول كان يتدفق بسعر رخيص، وبدون أية عوائق اقتصادية أو سياسية أو لوجستية. وفي عام ١٩٧٣ حصلت الصدمة الأولى مع حظر النفط العربي؛ الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعار البترول بنسبة ٤٠٠% خلال أشهر معدودة؛ لتجد الولايات المتحدة وهولندا نفسيهما أمام حظر خانق هو الأول من نوعه في تاريخ العلاقات بين الشمال والجنوب، وهذا الوضع القائم، والذي كان بمنزلة تهديدٍ مباشرٍ لمصالح أوروبا[٥٥]، وفي مجال حيوي مثل الطاقة نبهها إلى قيمة ومكانة العالم العربي بالنسبة لأوروبا حين برهنت دول الجنوب النامي على أن بإمكانها أن تسبب أرقًا بالغًا في أوضاع واقتصادات دول الشمال المتقدم، وراحت الإحصائيات توضح للأوروبيين أن العالم العربي يمتلك في أراضيه ٥٦% من احتياطي النفط العالمي، وأن ٦٥٪ من البترول الذي تستورده أوروبا يأتي من الدول العربية[٥٦]،

وأدركت أوروبا أن من مصلحتها إعادة التفكير جديًّا في توثيق علاقاتها بالدول العربية حفاظًا على مصلحها النفطية. وتتفق الدراسات على أن أوروبا كانت تهدف بالدرجة الأولى من الحوار إلى ضمان التموين المنتظم من النفط وبأسعار معقولة[٥٧].

ب - اجتذاب الدولارات النفطية Petrodollars: أدى ارتفاع أسعار النفط في بداية السبعينيات إلى زيادة هائلة في عائدات الدول العربية المصدرة له فيما عرف باسم (البترودولار)؛ فلقد قفزت عائدات كل من: قطر، والعراق، والجزائر، والسعودية، والكويت، وليبيا من حوالي ١٣ مليار دولار عام ١٩٧٣ إلى قرابة ٥١ مليار دولار عام ١٩٧٤؛ أي بزيادة حوالي أربعة أضعاف خلال عام واحد، وأودع معظم هذه الدول وقتها ٤٠٪ من هذه العائدات في البنوك الأوروبية، وكان من الطبيعي أن تتسابق الدول الغربية إلى اجتذاب هذه الأموال، وكانت أوروبا من أشد المتحمسين لذلك؛ نظرًا لأن القسم المهم من هذه العائدات بدأ يذهب إلى البنوك والمؤسسات المالية الأمريكية، وشعرت الدول الأوروبية بالحاجة الملحة إلى تنسيق سياساتها تجاه الدول العربية، والبحث عن نقاط تقارب بينها وبين العرب تسهم في جذب تلك الفوائض المالية نحوها[٥٨].

ج - ميدان التبادل التجاري: جاءت دول العالم العربي في مطلع السبعينيات من القرن الماضي ضمن أكبر الدول الشريكة للقارة الأوروبية تجاريًّا، وساعدت أجواء الاستقرار السياسي، والتخلص من الاستعمار على اندفاع الدول العربية نحو إقامة برامج وخطط تنموية خمسية، وهو ما تطلب بدوره استيراد الكثير من المعدات والأجهزة والتكنولوجيا اللازمة لتنفيذ هذه المشاريع، وتنبهت أوروبا إلى أن أسواق جنوب المتوسط، والشرق الأوسط عمومًا بدأت تتوسع وتكبر، وتطلب المزيد من الصادرات الأوروبية؛ فازداد حجم الصادرات الأوروبية إلى دول العالم العربي بنسبة بلغت ٣٨٥% خلال الفترة (١٩٧٠ إلى ١٩٧٥)[٥٩].

٣- الدوافع الأمنية: يتلخص دافع الأمن لأوروبا، في الحفاظ على أمن واستقرار البحر المتوسط. لذلك خشيت أوروبا من مخاطر امتداد الحرب إلى حدودها. وقد درجت أوروبا، خاصة منذ مطلع التسعينيات، على أن ترى أمنها في المتوسط من منظور الأمن الشامل الواسع (التدهور الاقتصادي والاجتماعي، والهجرة، والأصولية، والعنف، وغياب الديمقراطية وفقا للمعايير الغربية إلخ)[٦٠].

ثانيًا- مراحل الحوار :

يمكن تقسيم مراحل الحوار العربي الأوروبي إلى مرحلتين؛ المرحلة الأولى (١٩٧٥- ١٩٨٠)، والمرحلة الثانية (١٩٨١- ١٩٩٠)، مع التأكيد على مرونة التقسيم بالنسبة للأحداث والسنوات.

المرحلة الأولى (١٩٧٥- ١٩٨٠):

كان السبب المباشر لانطلاق الحوار العربي الأوروبي- كما ذكرنا- هو نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣، وما تمخض عنها من حظر نفطي على الغرب، وخوف أوروبا من امتداد الحرب إليها، وقد جاءت هذه المرحلة متزامنة مع مرحلة السياسة المتوسطية الشاملة للجماعة الأوروبية (١٩٧٣– ١٩٩١)، ومع أول توسع للجماعة لتصبح تسع دول بدلًا من الدول الست المؤسسة لها في روما عام ١٩٥٧؛ حيث خشيت أوروبا على مصالحها؛ فبادرت الدول التسع الأعضاء في الجماعة إلى إصدار بيان ٦ نوفمبر ١٩٧٣ في بروكسل مقر الجماعة الأوروبية[٦١]، وضمنته في رسالتها إلى الأمين العام للأمم المتحدة في اليوم نفسه؛ ليوضع كوثيقة رسمية في الجمعية العامة ومجلس الأمن. أما عن الموقف العربي من هذه المبادرة؛ فقد استجاب الطرف العربي بسرعة لهذه المبادرة الأوروبية، وعبر العرب عن استجابتهم بموقف عربي موحد اتخذه مؤتمر القمة العربي السادس الذي انعقد في الجزائر يوم السادس والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣، وقد كانت البداية الرسمية للحوار في القاهرة في العاشر من يونيو ١٩٧٥[٦٢].

وقد شهدت هذه المرحلة انطلاق الحوار، كما شهدت مجموعة مهمة ومؤثرة من الأحداث التي انعكست على الحوار العربي- الأوروبي. وإذا كان الحور قد انطلق بقوة في هذه المرحلة، فقد أخذ ـ أيضًا ـ بالتراجع العكسي فيها، بعد أن بلغ القمة، كما سنوضح فيما يأتي.

لقد كان على الحوار العربي الأوروبي أن يجتاز عقبتين أساسيتين هما: الموقف الملتبس للجانب الأوروبي الذي يسعى مع اعترافه بالطابع السياسي الواضح للحوار إلى حصره في جوانبه الاقتصادية، أما العقبة الثانية فكانت مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية، حيث أبدى الجانب الأوروبي اعتراضه على مشاركة وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية في الاجتماعات؛ لأن ذلك يعد اعترافًا رسميًّا من جانب الجماعة الأوروبية بها، وهو الأمر الذي لا تنوي الجماعة البت فيه حاليًا. وبالنسبة للعقبة الأولى؛

فقد تطور الموقف الأوروبي نحو اعتراف ضمني بمركزية الصراع العربي الإسرائيلي في الاهتمامات العربية، أما عقبة مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فقد تم اجتيازها بصيغة " دبلن" المشهورة التي أوضحت أن المشاركة في الحوار ليست مشاركة بين دول، بل مشاركة بين مجموعتين بحيث يكون كل طرف حرًّا في اختيار مندوبيه [٦٣]. وقد تبلور الموقف العربي في هذه المرحلة في ضرورة لفت أنظار الطرف الأوروبي إلى مطلبين لهما طابع سياسي؛ الأول هو ضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، والثاني هو ضرورة وقف المساعدات الاقتصادية والعسكرية لإسرائيل طالما أصرت على احتلالها للأراضي العربية، ولم يوافق الأوروبيون على أيٍّ من هذين المطلبين السياسيين.

وقد شهدت المرحلة الأولى ١٩٧٥- ١٩٧٩ كثافة في الأحداث التي مر بها الوطن العربي؛ ففي نوفمبر ١٩٧٧ قام الرئيس السادات بزيارة القدس، تلا ذلك عقد اتفاقيات كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨، واتفاق الصلح في مارس ١٩٧٩؛ ليجد الحوار نفسه أمام القضية المحورية ألا وهى قضية الصراع العربي الإسرائيلي، على الأقل من وجهة النظر العربية، فبدأ يأخذ مسارًا لم يكن متوقعًا، فلم يتوقع لا الطرف العربي ولا الطرف الأوروبي المبادرة المصرية بالسلام مع إسرائيل، وترددت مواقف الجماعة الأوروبية بين التزام الصمت المربك، ووجوب استناد الحل إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢[٦٤]، وخرجت مصر من الصف العربي عام ١٩٧٨، وانتقلت جامعة الدول العربية من دولة المقر مصر إلى تونس، وهكذا بدا واضحًا أن الحوار أصبح مجرد شكل لا روح فيه؛ ليدخل الحوار في هذه المرحلة، ومع أحداث اتجاه مصر لعملية السلام مع إسرائيل، في مرحلة سبات.

ثم جاءت الصدمة النفطية الثانية (١٩٧٩– ١٩٨٠)؛ حيث انخفض إنتاج النفط بشكل كبير، وتضاعفت أسعاره بسبب اندلاع الثورة الإيرانية في فبراير ١٩٧٩، ثم اندلاع الحرب العراقية الإيرانية في سبتمبر ١٩٨٠، ثم غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان في ديسمبر ١٩٧٩، وبالطبع سمحت الصدمة النفطية الثانية باستئناف الحوار، لكنها لم تكن سوى سحابة صيف[٦٥]، ومع تداعيات تلك الأحداث المهمة عالميًّا وإقليميًّا تراجع الحوار العربي– الأوروبي في الأولوية والأهمية بشكل كبير.

المرحلة الثانية (١٩٨١- ١٩٩٠):

جاءت هذه المرحلة لتكرس المرحلة السابقة عليها؛ فقد جاءت الفترة (١٩٨٠–١٩٩٠) بجملة من الوقائع والأحداث التي تضافرت مؤدية إلى إبطاء الحوار العربي الأوروبي؛ فعلى المستوى الأوروبي حدث التوسع الثاني للجماعة الأوروبية عام ١٩٨١ بانضمام اليونان، ثم التوسع الثالث عام ١٩٨٦ بانضمام البرتغال وإسبانيا، وفي بداية هذه المرحلة وصل فرانسوا ميتران للحكم في فرنسا، وتاتشر في بريطانيا، وعادت أوروبا للتمحور حول نفسها. أما على المستوى العالمي، فقد وصل رونالد ريجان إلى البيت الأبيض في الولايات المتحدة لتتأزم علاقات الشرق بالغرب؛ حيث انتقد ريجان الاتحاد السوفيتي بشدة لغزوه أفغانستان، وصمم على مواجهة "إمبراطورية الشر" السوفيتية. أما على المستوى الإقليمي العربي؛ ففي يونيو ١٩٨٢ غزت إسرائيل لبنان، وفي ديسمبر ١٩٨٧ اندلعت شرارة الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة"، ولم تعقد اجتماعات قمة عربية ما بين قمة فاس ١٩٨٢م وقمة عمان ١٩٨٧، وانتقل الاهتمام الجيوسياسي نحو منطقة الخليج، وفقدت القضية الفلسطينية مركزيتها، وتوقف الحوار الأوروبي العربي[٦٦].

أما على الصعيد الأوروبي، فقد أثارت ثورات وسط وشرق أوروبا عام ١٩٨٩ مسألة إعادة التفكير في الأمن الأوروبي بعد سقوط الأنظمة الشيوعية تباعًا، وتحطيم جدار برلين في ٩ نوفمبر ١٩٨٩، وإعادة توحيد ألمانيا في ٣ أكتوبر ١٩٩٠، ومما لاشك فيه فإن تلك الأحداث المهمة داخل البيت الأوروبي جعلت جل الاهتمام الأوروبي ينصب على شرق ووسط أوروبا على حساب جنوب وشرق المتوسط، كما بدأت أوروبا تظهر كأحد التكتلات الكبرى عالميًّا. وعلى المستوى العربي، فقد تمت إعادة توحيد الصف العربي في القمة الاستثنائية لجامعة الدول العربية في الدار البيضاء في مايو ١٩٨٩، وفي أغسطس ١٩٩٠ حدث غزو العراق للكويت، وهو الحدث الذي نتجت عنه تداعيات كبيرة في المنطقة لا تزال آثارها حتى يومنا هذا.

ثالثًا- الموقف الدولي من الحوار:

أثر النظام الدولي القائم، وطبيعة العلاقات بين أقطابه، والقوى الفاعلة فيه على الحوار؛ فالحوار العربي الأوروبي تم في فترة القطبية الثنائية (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي)، وهى الفترة التي امتدت من (١٩٤٥- ١٩٩١)، وجاء الحوار في إطار

مؤسسي هو الجامعة العربية والجماعة الأوروبية. وعليه فمن المهم معرفة موقف القطبين الدوليين من الحوار، وتأثيرهما عليه.

ـ موقف الولايات المتحدة من الحوار العربي الأوروبي:

يتلخص الموقف الأمريكي في معارضته للحوار العربي- الأوروبي، ويمكن للمتتبع للسياسات الأمريكية أن يستنتج أنها عملت على إجهاض هذا الحوار منذ الإعلان عن بدء التحضير له؛ ففي ١١ يناير ١٩٧٤ أعلنت الولايات المتحدة عدم موافقتها على مبادرات أوروبا (الجانبية)، واقترحت عقد مؤتمر للطاقة في واشنطن لتوحيد مصالح الدول المستهلكة للبترول في مقابل الدول المنتجة له، وبالفعل تم عقد مؤتمر واشنطن للطاقة في فبراير ١٩٧٤ بحضور ١٣ دولة هي: الدول التسع للجماعة الأوروبية، والولايات المتحدة، وكندا، والنرويج، واليابان، وتمخض المؤتمر عن تأسيس الوكالة الدولية للطاقة المعروفة؛ اختصارًا بـ (IEA) لرسم سياسة أطلسية للطاقة، ووضع برامج الأبحاث الخاصة بالأبحاث الذرية في العالم الحر[٦٧].

من جانب آخر حرصت الولايات المتحدة بشدة على إبلاغ أوروبا قلقها من الحوار العربي الأوروبي، ومعارضتها الشديدة لتدخل أوروبا في قضايا الشرق الأوسط السياسية والنفطية[٦٨]، وطلبت منها على لسان هنري كيسنجر، وبدعم من بريطانيا، الاطلاع على ما يجري في الحوار، والمشاركة في إدارته بعد أن خاب أملها في إفشاله، في حين عد الرئيس ريتشارد نيكسون في خطابه في ١٥ مارس ١٩٧٥ أن الحوار العربي الأوروبي مؤامرة أوروبية ضد مصالح الولايات المتحدة[٦٩]. وقد أكد وزير الخارجية الفرنسية ـآنذاك ـ "ميشيل جوبير" أن نظيره الأمريكي "هنري كيسنجر" كان مصرًّا على نسف الحوار بين العرب وأوروبا، وأنه أكد له المعارضة الأمريكية لهذه المبادرة، وأنه لن يدخر جهدًا لإفشالها[٧٠].

من جانبها وضعت بريطانيا عقبة جديدة أمام الحوار؛ حيث اشترطت على الجانب العربي رفع كل أشكال الحظر النفطي- وبشكل نهائي ورسمي- قبل بدء الحوار، وهنا يمكن القول بأن عزيمة الطرف الأوروبي ضعفت تحت وطأة الضغوط الأمريكية القوية، علاوة على عودة تدفق البترول إلى سابق عهده دون أن يحصل الجانب العربي على مقابل لتنازله السريع عن الحظر النفطي[٧١].

وكانت خيبة الأمل العربية في الحوار عندما أخذ الجانب الأوروبي يتباطأ في بدء جلسات الحوار، وعزز من شعورهم بالخيبة صدور بيان وزراء الخارجية الأوروبيين المجتمعين في بون في مارس ١٩٧٤، والذي يتعهدون فيه باطلاع واشنطن- وبشكل مسبق- على الخطوات والقرارات التي سوف يتم اتخاذها تجاه الجانب العربي في الحوار من باب ما أسمته واشنطن بـ "التشاور" مع أوروبا. والحقيقة هي أن الجهود الأمريكية أسفرت عن تعطيل الحوار لمدة عام ونصف تقريبًا، فلم يبدأ الحوار فعليًّا إلا في شهر يونيو ١٩٧٥ في القاهرة. ومن ثم يمكن فهم أن الولايات المتحدة أرادت أن تنفرد بملفين مهمين في المنطقة هما ملف الطاقة، وتحديدًا إمدادات النفط من الدول العربية، وملف تسوية القضية الفلسطينية التي باتت تعرف بعملية السلام في الشرق الأوسط، على أن يكون الدور الأوروبي ثانويًّا فيهما، ولا يتم إلا بالتشاور أولًا مع واشنطن، وعليه فهو جهد معزز وداعم للدور الأمريكي.

- موقف الاتحاد السوفيتي من الحوار العربي الأوروبي:

لم ينظر الاتحاد السوفيتي بعين الرضا إلى الحوار العربي الأوروبي؛ فعلى المستوى الاستراتيجي، فإن نجاح الحوار يعني القضاء التدريجي على نفوذ القوتين العظميين في البحر المتوسط، وفي الوقت نفسه فإن حصر المسألة الفلسطينية في إطار من التنسيق العربي الأوروبي سوف يؤثر سلبًا على الحضور السوفيتي في المنطقة. أما على الصعيد الاقتصادي، فسيؤدي إلى حرمان الاتحاد السوفيتي من جزء مهم من السوق العربية، وعلى الرغم من ذلك التزم الاتحاد السوفيتي سياسة الصمت إزاء الحوار؛ فالمعارضة العلنية له كانت تعني أولًا توتر العلاقات بينه وبين الأنظمة العربية الموالية له، وثانيًا إن معارضته كانت ستخدم مصلحة الصين التي اتهمت القطبين (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي) بالتواطؤ على اقتسام العالم. وقد تمثلت دوافع الاتحاد السوفيتي في الوجود في المنطقة العربية في عدة أمور منها: وجود الأسطول الروسي في المياه الدافئة، والاقتراب من منابع النفط التي تهيمن عليها الشركات الغربية، والوجود بالقرب من القوات الأمريكية في المنطقة العربية، ومن المعروف أنه كان يوجد تنافس في مياه المتوسط بين الأسطول السادس الأمريكي (مقره في نابولي الإيطالية) والأسطول السوفيتي. وفي الوقت نفسه كان الموقف الصيني من الحوار العربي الأوروبي هو حث الجماعة الأوروبية والجماعة العربية على تمتين وحدتهما لموازنة ثقل القوتين العظميين (٧٢).

رابعًا- المعوقات والدروس المستفادة من الحوار:

ـ معوقات الحوار العربي الأوروبي:

من خلال الدراسة يتبين لنا وجود عدة معوقات اعترضت الحوار العربي الأوروبي، تمثلت فيما يأتي:

١- موقف القوى الدولية الفاعلة: وهو الأمر الذي يتضح في دور الولايات المتحدة الأمريكية في حالة الحوار العربي الأوروبي. فقد أسهمت الولايات المتحدة بقوة في الحد من فعالية الحوار، والعمل على إفراغه من مضمونه؛ نظرا لتعارض أهدافه مع مصالحها كما أوضحنا.

٢- طبيعة النظام الدولي القائم: أسهم النظام الدولي ثنائي القطبية، والمتمثل في تنافس أمريكي سوفيتي صريح في المنطقة العربية في تغييب إمكانية الحوار بشكل عام؛ وساد جو التنافس والميل لأحد القطبين على حساب الآخر. ومما يدعو للتأمل أنه حتى في ظل النظام الدولى (الجديد) أحادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة (بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في ديسمبر ١٩٩١)، والذي كان يبشر بالحوار، سادت نزعة الهيمنة ولغة القوة، والترويج لفكرة الصدام بين الحضارات، وفرض الديمقراطية على الشعوب من الخارج إلخ.

٣- صعوبة التحرك الجماعي: ظهرت خلال سنوات الحوار انقسامات عربية أسهمت في إضعاف الصف العربي مثل: معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، والحرب بين الجزائر والمغرب، علاوة على أحداث مثل الثورة الإيرانية، والحرب بين العراق وإيران لفتت الأنظار بعيدا عن الحوار. كما كانت هناك انقسامات على الجانب الأوروبي، اتضحت في جهود فرنسا لدفع الحوار قدما، في مقابل جهود بريطانيا النشيطة لعرقلته.

٤- غياب أو اضمحلال المصلحة المشتركة: يعد وجود المصلحة المشتركة أهم عامل لانطلاق الحوار، وعليه فإن غيابها له أثر عكسي على أي حوار، وغالبا ما يمنع انطلاقه. كما أن اضمحلال المصلحة من الحوار يؤدى إلى فتوره؛ فعودة تدفق النفط العربي مرة أخرى إلى أوروبا أثناء الحوار؛ بمعنى تحقق مصلحة أوروبا، أسهم في فتوره، وبات في حاجة للبحث عن قوة دفع مساندة تسهم في استمراره.

ـ الدروس المستفادة من الحوار العربي الأوروبي:

يمكننا في نهاية الدراسة استخلاص مجموعة من الدروس من الحوار العربي الأوروبي كما يأتي:

١- أن دافع المصلحة المشتركة هو الدافع الأقوى للحوار، كما تبين في حالة العلاقات العربية الأوروبية، ولذلك يجب البحث دائمًا عن المصالح المشتركة بين الأطراف، ودفعها وتطويرها وتعميقها.

٢- أن الطرف العربي جنوب وشرق المتوسط مطالب ببذل الجهود وإطلاق المبادرات، ووضع تصور للمشروعات لتقوية الحوار مع الجانب الأوروبي، وهذا يتطلب وضوح الهدف وتنسيق السياسات العربية.

٣- على الرغم من أن الجماعة الأوروبية تتحرك للحوار عند وجود أزمة تهدد مصالحها، فإن شرط وجود أزمة غير كافٍ لكي تتحرك الجماعة في كل مرة، بل يفترض وجود إجماع عربي فاعل ومتماسك وقادر من خلال الأزمة أن يفرض على أوروبا التجاوب مع مطالبه ومواقفه كقوة لا يستهان بها [٧٣].

٤- إن من سمات العلاقات العربية الأوروبية التأثير الذي تمارسه الولايات المتحدة على الطرف الأوروبي، ويعود ذلك إلى خصوصية العلاقة بينهما؛ فالولايات المتحدة رأت أن المبادرة الأوروبية للحوار مع العرب مبادرة جانبية تمثل خروجًا أوروبيًّا عن الانضباط المطلوب في إطار حلف الأطلسي، بل وطلبت من أوروبا عدم إدراج قضايا سياسية أو قضايا الطاقة على جدول الحوار، وقد أشار بعض الباحثين إلى الدور الأمريكي في الحوار العربي الأوروبي بأنه الطرف غير الرسمي في الحوار [٧٤].

٥- لكي يحقق الحوار العربي الأوروبي أهدافه لابد أن تتوفر له مجموعة من العناصر هي: أولًا- توازن القوى أو على الأقل تقاربه بين الطرفين. ثانيًا- إرادة البحث عن طريق مشترك يسمح بالتوفيق بين مصالح الجانبين. ثالثًا- أنه لا بديل عن التعاون بين الطرفين في عالم تسوده التكتلات الكبرى [٧٥].

٦- أن الحضارة عملية متصلة، وجهد لا يتوقف، ولا يكفى التفاخر بما قدمه الأجداد من إنجازات؛ بل ينبغي أن يكون لكل طرف في الحوار ما يقدمه للطرف الآخر من نفع يقدمه أو ضر يمنعه (كان النفط في حالة الحوار العربي الأوروبي)؛ ليجد الحوار قوة الدفع والاستمرار اللازمتين له.

المراجع

[١]- بشارة خضرة، أوروبا والوطن العربي: القرابة والجوار، ترجمة: جوزف عبد الله (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣)، ص ٩٤ .

٢- عوض إسماعيل عبدالله،" مفهوم الحوار وغاياته" في، محمد مختار جمعة (محرر)، حوار الأديان والثقافات (القاهرة: مطبعة وزارة الأوقاف، ٢٠٢١)، ص ١٨.

٣- المرجع السابق، ص ص ١٩- ٢٠.

٤- علىّ الدين هلال، " عن الحوار الوطني نتحاور"، الأهرام، ١٥ مايو ٢٠٢٢.

٥- عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص ١١.

[٦]- أميمة عبود، "أسلوب الحوار: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط"، في منى أبو الفضل، نادية محمود مصطفي (محررين)، الحوار مع الغرب آلياته، أهدافه، دوافعه، سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية رقم ١ (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨)، ص ص ٦٧- ٦٨.

٧- عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ص ١١- ١٢.

٨- محمد بدر الدين مصطفى زايد، المفاوضات الدولية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١)، ص ص ١٠- ١١.

[٩]- نصر محمد عارف، الحضارة- الثقافة- المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، سلسلة المفاهيم والمصطلحات (١) (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤)، ص ٥٧.

١٠- المرجع السابق، ص ٦٠.

١١- المرجع السابق، ص ٦١.

١٢- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية حوار لا ينتهي، سلسلة العلوم الاجتماعية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩)، ص ٣٣.

١٣- زكريا بشير إمام، التنوير والحضارة دراسة في المفاهيم والمقومات، (الخرطوم: مركز التنوير المعرفي، ٢٠١١)، ص ص ٦٠-٦١.

١٤- المرجع السابق، ص ٦١.

١٥- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية حوار لا ينتهي، مرجع سابق، ص ٣٧.

١٦- أحمد زايد، "الجديد في نظرية الثقافة: المفهوم والاتجاهات والمناهج"، نادية محمود مصطفى، إشراف وتقديم: أميرة علي الدين أبو سمرة (تحرير)، مداخل التحليل الثقافي لدراسة الظواهر السياسية والاجتماعية: المنطلقات والمجالات والمفاهيم في العلوم الاجتماعية والسياسية (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- برنامج حوار الحضارات، ٢٠١١)، ص ٣٤، ٣٧ .

١٧- عبدالعزيز بن عثمان التويجري، تأملات في قضايا معاصرة (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢)، ص ص ٣٠- ٣١.

١٨- محمود حمدي زقزوق، الدين والفلسفة والتنوير، سلسلة اقرأ، العدد ٦١٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦)، ص ص ٧٨- ٧٩.

١٩- مصطفى علوى سيف، "من صدام السياسات إلى حوار الحضارات"، صحيفة الأهرام، ١٧ نوفمبر ٢٠١٣.

٢٠- أميمة عبود، "أسلوب الحوار: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط"، مرجع سابق، ص ص ٨٢- ٨٣.

٢١- عبد الإله بنعرفة، "دور المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في تعزيز الحوار بين الحضارات"، في نادية محمود مصطفى (تنسيق علمي وإشراف)، علياء وجدي (محرر)، أوروبا وحوار الثقافات الأورومتوسطية نحو رؤية عربية للتفعيل (القاهرة: جامعة القاهرة- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- برنامج حوار الحضارات، ٢٠٠٧)، ص ٢١١.

٢٢- المرجع السابق، ص ٢١٢.

٢٣- كامل فتحي كامل محمد خضر، مفهوم الحوار بين الحضارات في الفكر السياسي لكل من محمد خاتمي وحسن حنفي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٧)، ص ص ١٧١-١٧٢.

٢٤- زكي الميلاد، صلاح الدين الجوهري (محرران)، تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات (القاهرة: دار الكتاب المصري، ٢٠١٤)، ص ص ٥٦- 73 .

٢٥- المرجع السابق، ص ٦٠.

٢٦- المرجع السابق، ص ٥٩.

٢٧- تأسست مراكز وبرامج في معظم الجامعات حول العالم لدراسة حوار الحضارات، ومنها برنامج حوار الحضارات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، والذي قدم إسهامات قيمة في هذا المجال بحيث يمكن القول إن مدرسة فكرية تأسست في هذا المجال الخصب والمتشعب.

٢٨- انتقد الكثير من الدراسات كتابات هانتجتون عن صدام الحضارات، واعدتها تعبيرًا عن نزعة الهيمنة الغربية التي تسعى إلى عولمة مفاهيمها السياسية الخاصة ورؤاها من منطلق نزعة التفوق والتميز. انظر مثلًا:

Riham Bahi, Civilizations in World Politics : A Paradigm in the Making, available at: https://sis.gov.eg/UP/CIVILIZATIOS/Dr%20Riham%20Bahi.pdf

٢٩- زكي الميلاد، صلاح الدين الجوهري، مرجع سابق، ص ص ٦٤-٦٥.

٣٠- بروس مازليش، (ترجمة) عبد النور خراقي، الحضارة ومضامينها، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤١٢ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مايو ٢٠١٤) ص ١١٨.

٣١- كامل فتحي كامل محمد خضر، مرجع سابق، ص ١٥٠.

٣٢- المرجع السابق، ص ص ١٢٧- ١٢٨، ١٣٠.

٣٣- زينب عبد العظيم،" الأمم المتحدة وعام حوار الحضارات"، في نادية محمود مصطفى، علا أبوزيد (محررين)، من خبرات حوار الحضارات قراءة في نماذج على الصعيد العالمي والإقليمي والمصري، (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم

السياسية- برنـامج حـوار الحضـارات، ٢٠٠٣)، ص ص ٣٨-٣٩. وأنظـر تقريـر منظمة اليونسكو:

The United Nations Educational, Cultural and Scientific Organization ,UNESCO World Report, Investing in Cultural Diversity and Intercultural Dialogue, 2009 available at: file:///C:/Users/My%20Lap/Desktop/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%85%D8%A7%D8%B1%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%88%D8%B9/cultural%20diversity.pdf

٣٤- مـن اللافـت للنظـر أن هـانتجنتون لا يعـد أن مـا يعـرف بالأصـولية الإسـلامية أو الجماعات الإرهابية التي ترتدي رداء الإسلام هي المشكلة، بـل الإسـلام ذاتـه، معتبرًا أن المجتمعات والدول الإسلامية تقع على خطوط النزاعـات الثقافيـة للعـالم، لـهذا فهـي عنيفة بشكل مفرط. انظر مثلًا في ذلك:

- ديبتـر سـنغاس، ترجمـة: شـوقي جـلال، الصـدام داخـل الحضـارات: التفـاهم بشـأن الصراعات الثقافية (القاهرة: دار العين للنشر، ٢٠٠٨)، ص ١٣٦.

- وانظر كذلك، شرح مفصل لأطروحة صدام الحضارات لهانتجتون في، محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ٥٨ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨).

٣٥- إبراهيم نـافع، جنون "الخطر الأخضر" وحملـة تشوية الإسلام (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٤)، ص ص ٧- ٣٩.

وحول الفكر الاستراتيجي الأمريكـي تجـاه منطقة الشرق الأوسط في التسعينيات. أنظر مثلا: أحمد عبد الرزاق شكارة، " الفكر الاستراتيجي الأمريكـي والشرق الأوسط في النظـام الـدولي الجديد"، المستقبل العربـي، العدد ١٧٠، أبريل ١٩٩٣، ص ص ٣٢-٥٧.

٣٦- السيد ياسين، حوار الحضـارات: الغرب الكوني والشرق المتفرد (القـاهرة: مكتبـة الأسرة، ٢٠٠٢)، ص ١٨٥.

٣٧- السيد ياسين، الديمقراطية وحوار الثقافات تحليل الأزمة وتفكيك الخطاب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧) ص ص ٢٨٨-٢٨٩.

٣٨- سامى منصور، إشراف، الحوار العربي الأوروبي: بحث عن بداية جديدة، سلسلة كتب مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، رقم ٥٩ (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٨٤)، ص ص ٧- ٨.

٣٩- للمزيد من التفاصيل عن نشأة وتطور الجماعة الأوروبية انظر: بشارة خضر، عملية الاندماج الأوروبي: النشأة- العقبات- التحديات المستقبلية، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد ١٥١ (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٠).

٤٠- بشارة خضرة، أوروبا و الوطن العربي: القرابة والجوار، ترجمة، جوزف عبد الله (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣)، ص ٩٤ .

٤١- الدول التسع هي: بلجيكا، هولندا، لوكسمبورج، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، بريطانيا، إيرلندا، الدانمارك.

٤٢- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي ١٩٥٧- ٢٠١٠ (بيروت :دار النفائس، ٢٠١١)، ص ٣٢.

٤٣- المرجع السابق، ص ٣٣.

٤٤- المرجع السابق، ص ٣٣.

٤٥- أحمد صدقي الدجاني، الحوار العربي الأوروبي: الفكر والمسار والمستقبل وجهة نظرية عربية (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٣)، ص ١٥.

٤٦- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ٣٤.

٤٧- المرجع السابق، ص ٣٤.

٤٨- بشارة خضرة، أوروبا و الوطن العربي: القرابة والجوار، مرجع سابق، ص ١٢٠.

٤٩ - أحمد صدقي الدجاني، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ص ٧- ٨.

٥٠- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ٣١.

٥١ - ودودة بدران: " العرب وإمكانيات التأثير على الجماعة الأوربية " المجلة العربية للدراسات الدولية، العدد الأول، الثاني، السنة الرابعة، شتاء/ ربيع ١٩٩٣، ص ٥٣ .

٥٢ -أحمد صدقي الدجاني، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ص ١٥- ١٦.

٥٣- للمزيد من التفاصيل عن الدور السياسي لأوروبا تجاه قضايا المنطقة العربية وعملية السلام انظر: نادية محمود مصطفي، " أبعاد الدور السياسي لأوروبا وحدوده: إشكالية الاستمرارية والتغيير"، مجلة "شؤون عربية"، العدد ١٢١، ربيع ٢٠٠٥.

٥٤- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ص ٣٦- ٣٧.

٥٥- نادية محمود مصطفى، " أبعاد الدور السياسي لأوروبا وحدوده: إشكالية الاستمرارية والتغيير"، مرجع سابق، ص ٥٢.

٥٦- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ٣٨.

٥٧- بشارة خضرة، أوروبا و الوطن العربي: القرابة والجوار، مرجع سابق، ص ٩٥.

٥٨- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ٣٨.

٥٩- المرجع السابق، ص ٣٩.

٦٠- نادية محمود مصطفى،" البعد الثقافي للشراكة الأوروبية - المتوسطية الدوافع، الأهداف المسار: رؤية نقدية"، في نادية محمود مصطفى (تنسيق علمي وإشراف)، علياء وجدي (محرر)، أوروبا وحوار الثقافات الأورومتوسطية نحو رؤية عربية للتفعيل، مرجع سابق، ص٤٧.

٦١- ترجع أهمية بيان بروكسل إلى أنه تضمن نقاطًا مهمة منها: الدعوة إلى بدء مفاوضات تتيح سلامًا عادلًا ودائمًا في الشرق الأوسط برعاية الأمم المتحدة، وعلى أساس القرار ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، وأن السلام يجب أن يكون على أساس عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة، وإنهاء إسرائيل احتلالها للأراضي التي تسيطر عليها منذ حرب ١٩٦٧، وأخذ حقوق الشعب الفلسطيني بعين الاعتبار، واستعداد أوروبا للمساهمة بتقديم قوات حفظ للسلام بعد التوصل إلى اتفاق سلام. انظر: فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ص ٤٣-٤٤.

٦٢ - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ١٨ .

٦٣ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص ص ٩٧- ٩٨ .

ولمزيد من التفاصيل عن صيغة دبلن، وعن الموقف العربي المؤكد لضرورة مشاركة المنظمة في الحوار انظر: أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص ١١٧– ١٢٥ .

٦٤ - المرجع السابق، ص ١٠٢ .

٦٥- بشارة خضر، مرجع سابق، ص ١٠٥.

٦٦ - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ١١١.

٦٧ - المرجع السابق، ص ص ١٢٨- ١٢٩ .

٦٨- تشير الدراسات إلى أن المصالح الأمريكية في المنطقة تتمثل في: تدفق النفط بأسعار معقولة، وأمن إسرائيل، واستقرار المنطقة، وعدم انتشار أسلحة الدمار الشامل، للمزيد أنظر:

Osama Farouk Mekheimar, Common Challenges to the Levant: Cooperative Security in the Middle East after Peace, Monograph Series, No. 11 (Rome: NATO Defense College, 2002) pp. 31-35.

٦٩ - عبد المنعم سعيد، الحوار العربي الأوروبي: دراسة للنهج الأوروبي إزاء الحوار، سلسلة كتب مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام رقم (١٦)، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، سبتمبر ١٩٧٧)، ص ص ٦٤، ٦٥.

٧٠- فيصل الحموي، الحوار العربي الأوروبي، مرجع سابق، ص ١١٠.

٧١- المرجع السابق، ص ٥٢.

٧٢ - المرجع السابق، ص ص ١٨-١٩.، بشارة خضر، مرجع سابق، ص ص ١٢٤- ١٢٥ .

٧٣ - نصيف يوسف حتى، القوى الخمس الكبرى والوطن العربي: دراسة مستقبلية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر ١٩٨٧)، ص ١٤٦.

٧٤ - المرجع السابق، ص ص ١٤٦- ١٤٧ .

٧٥ - سامى منصور، مرجع سابق، ص ٨.